جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

الدعوة إلى العامية في المعجمات العربية للمستشرقين (معجم تكملة المعاجم العربية لدوزي نموذجا)

الدكتور

محمد محمود عبد الرحمن القاضي

أستاذ علم اللغة المساعد بقسم اللغة العربية

بكلية الآداب - جامعة حلوان - جمهورية مصر العربية

العدد الخامس والعشرون

للعام ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

الجزء الرابع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050

الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعوة إلى العامية في المعجمات العربية للمستشرقين

(معجم تكملة المعاجم العربية لدوزي نموذجا)

محمد محمود عبد الرحمن القاضي

علم اللغة ـ بقسم اللغة العربية ـ بكلية الآداب - جامعة حلوان ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني: mohamed_alkady01@arts.helwan.edu.eg

الملخص :

ترتبط الدعوة إلى العامية بالاستشراق ارتباطا كبيرا، إذ أصبحت من أهداف المستشرقين الذين يريدون ضرورة معارضة اللغة الفصحى لغة القرآن، وكانت الدعوة إلى العامية سبيلاً لتحقيق الهدف الكبير وهو إقصاء القرآن أساسًا، ولا يتم إقصاء القرآن حتى تتوارى اللغة العربية، وذلك لا يتم إلا عن طريق وسائل التعليم.

والدعوة إلى العامية كذلك محاولة لإيقاف نمو اللغة العربية عن التوسع والحيلولة دون حركتها مع انتشار الإسلام، ولا يشك عاقل في مدى التلازم الوثيق والارتباط المحكم بين اللغة والدين والأمة، وهذا ما أدركه العلماء في القديم والحديث، حيث ربطوا ربطًا محكمًا بين اللغة العربية والإسلام.

ولخطورة المعاجم في بناء اللغة العربية وفهمها فقد قام المستشرقون بجهود كثيرة في مجال المعاجم العربية، ولعل ما يلفت النظر في جهودهم المعجمية خروجها غالبا عن نسق بناء المعاجم العربية الأصلية، وإدخال كثير من الألفاظ العامية فيها، مما يفرض علي الباحثين العرب ضرورة نقد هذه المعاجم ومناقشة ما فيها بغية الكشف عن النوايا الحقيقية وراء صناعتها، وهل ما ورد فيها من هذا القبيل يرجع إلى جهل صانعيها

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بضوابط بناء المعاجم العربية أو بسبب سوء النية والترويج للعامية؟ ويأتي هذا البحث ليناقش هذا الطرح (الفرض) من خلال منهج تحليلي نقدي لمعجم من أكبر المعاجم التي صنعها المستشرقون وهو معجم "تكملة المعاجم العربية" للمستشرق الهولندي "لينهارت دوزي".

وسوف أتناول هذه القضية في هذا البحث من خلال تمهيد ومبحثين

أولا: مصادر دوزي في معجمه في ضوء قواعد المعجمية العربية وضوابطها.

ثانيا: علاقة معجم دوزي بالدعوة إلى العامية.

وفي النهاية خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

الكلمات المفتاحية : العامية ، الدعوة إلى العامية ، معاجم المستشرقين ، معجم دوزي – تكملة المعاجم العربية – المعاجم العربية.

Call to the colloquial in the Arab dictionaries of the Orientalists (Duzi's Arabic dictionaries supplement dictionary as a model)

Muhammad Mahmoud Abdul Rahman Al-Qadi

Linguistics - Department of Arabic Language - Faculty of Arts - Helwan University - Arab Republic of Egypt .

Email: mohamed_alkady01@arts.helwan.edu.eg

Abstract

The call to slang is highly related to orientalism, as it has become one of the objectives of orientalists who want to oppose the classical language of the Qur'an, and the call for slang was a way to achieve the great goal of excluding the Qur'an in the first place, and the Qur'an is not excluded until the Arabic language disappears, and this is done only through means of education.

The call for slang is also an attempt to stop the growth of the Arabic language from expanding and preventing its movement with the spread of Islam, and there is no reasonable doubt about the extent of the close correlation between language, religion and the nation, as the scholars of the old and the modern realized, linking the Arabic language with Islam.

Because of the seriousness of the dictionaries in building and understanding the Arabic language, orientalists have made many efforts in the field of Arabic dictionaries, and perhaps what is striking about their lexical efforts is their often departure from the pattern of building the original Arabic dictionaries, and the introduction of many collocy in them, which requires Arab researchers to criticize these dictionaries and discuss what is in them in order to reveal the real intentions behind their manufacture, and is it because of the ignorance of their makers about the controls of building Arab dictionaries or because of bad intentions and promotion of colloism? This research discusses this subtraction (imposition) through a critical analytical approach to one of the largest dictionaries made by orientalists, the dictionary "Complement of Arabic Dictionaries" by Dutch orientalist Linhart Dozi.

I will address this issue in this research by preparing and examining

First: Dozy's sources in his dictionary in light of the rules and controls of The Arab Lexical.

Secondly, the Dozi dictionary has to do with the call to slang.

In the end, the conclusion includes the most important findings of the research.

Keywords : Colloquialism, the call to the colloquial, the dictionaries of orientalists, the dozy dictionary - Arabic dictionaries complement - Arabic dictionaries .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلا للمثقف الأوربي وحده لا لغيره وأنها كتبت له لهدف معين، في زمان معين، وبأسلوب معين، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل الأوربي المثقف من ان يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في الجنوب وان تكون له نظرة ثابتة هو مقتنع بصحتها ينظر بها إلى صورة واضحة المعالم لهذا العالم العربي الإسلامي وثقافته وحضارته وأهله"

[الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٦١]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يخفى على أي باحث منصف فضل المستشرقين على الثقافة العربية بغض الطرف عن نواياهم ومقاصدهم، فمنهم من اهتم بالتحقيق والتدقيق، ومنهم من اهتم بأمر الفهرسة لهذا التراث، فقد فهرسوا آي القرآن والأحاديث الشريفة، وفهرسوا لمواطن المخطوطات العربية، كما اعتنى المستشرقون بصناعة المعجم العربي ودراسته؛ لأنه مفتاح اللغة العربية، وسعوا إلى تعلم العربية وتيسير تعليمها فوضعوا المعاجم الثنائية، وفي العموم فإن للمستشرقين جهودا بارزة في تقديم التراث والتأليف في فنونه ونقده وتحليله، وهي جهود تستحق منا الدرس والتبيان للاستفادة منها قدر الإمكان.

وترتبط الدعوة إلى العامية بالاستشراق ارتباطا كبيرا، إذ أصبحت من أهداف المستشرقين الذين يريدون ضرورة معارضة اللغة الفصحى لغة القرآن، وكانت الدعوة إلى العامية سبيلاً لتحقيق الهدف الكبير وهو إقصاء القرآن أساسًا، ولا يتم إقصاء القرآن حتى تتوارى اللغة العربية، وذلك لا يتم إلا عن طريق وسائل التعليم.

والدعوة إلى العامية كذلك محاولة لإيقاف نمو اللغة العربية عن التوسع والحيلولة دون حركتها مع انتشار الإسلام.

ولا يشك عاقل في مدى التلازم الوثيق والارتباط المحكم بين اللغة والدين والأمة، وهذا ما أدركه العلماء في القديم والحديث، حيث ربطوا ربطًا محكمًا بين اللغة العربية والإسلام، يقول الشيخ شاكر: "الدين واللغة منذ النشأة الأولى متداخلان تداخلا غير قابل للفصل ومن أغفل هذه الحقيقة ضل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الطريق وأوغل في طريق الأوهام"[١]. ويقول أيضا: "وثقافة كل أمة وكل لغة هي حصيلة أبنائها المثقفين بقدر مشترك من أصول وفروع، كلها مغموس في الدين المتلقي عند النشأة. فهو صاحب السلطان المطلق الخفي على اللغة وعلى النفس وعلى العقل جميعا"[٢].

ولقد أدرك أعداء الإسلام والعربية أهمية اللغة وخطرها على مطامع الاستعمار، وخطرها في وحدة الأمة وتماسكها وارتباط حاضرها بماضيها؛ فتوجهت سهامهم إلى اللغة العربية من جهات عدة، كان أخطرها الدعوة إلى العامية لتفتيت وحدة الأمة وتجزئتها وجعلها دويلات متناحرة مختلفة الثقافة، مشوهة اللغة، بالإضافة إلى قطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم، وقطع ما بين المسلمين وماضيهم والحكم على كتابهم بالموت، لأن هذا الماضي المشترك هو الذي يربطهم ويضم بعضهم إلى بعض، لقد فعلوا كل ذلك من أجل أن تستمر التبعية لهم، وبذلوا أقصى الجهد لتحقيق هذا المقصد.

ولخطورة المعاجم في بناء اللغة العربية وفهمها كان للدراسات المعجمية العربية حظ كبير في دراسات المستشرقين، وتنوعت هذه الدراسات تنوعا كبيرا من حيث مناهجها، واتجاهاتها، وموضوعاتها[٣].

---

(١) الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م، ص ٧٢-٧٣.

(٢) الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٧٤.

(٣) انظر : عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد ، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، نشرته عمادة البحث العلمي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م، ص ١٧٣.

ولقد قام المستشرقون بجهود كثيرة في مجال المعاجم العربية، ولعل ما يلفت النظر في جهودهم المعجمية خروجها غالبا عن نسق بناء المعاجم العربية الأصلية، وإدخال كثير من الألفاظ العامية فيها، مما يفرض على الباحثين العرب ضرورة نقد هذه المعاجم ومناقشة ما فيها بغية الكشف عن النوايا الحقيقية وراء صناعتها، وهل ما ورد فيها من هذا القبيل يرجع إلى جهل صانعيها بضوابط بناء المعاجم العربية أو بسبب سوء النية والترويج للعامية؟ ويأتي هذا البحث ليناقش هذا الطرح (الفرض) من خلال منهج تحليلي نقدي لمعجم من أكبر المعاجم التي صنعها المستشرقون وهو معجم "تكملة المعاجم العربية" للمستشرق الهولندي "لينهارت دوزي".

وليس الغرض من البحث مطلقا تسفيها للمعجم أو تقليلا من شأنه، فلا شك أن فيه الكثير الذي يمكن أن نستفيد منه في الدراسات اللغوية عامة والمعجمية خاصة، وإنما هدفنا أن نكون على وعي لما فيه من سموم تطعن في لغتنا أو تهدم في بنيانها لنحذر منها ولا نخدع ببريقها، كما أنه ليس من الحكمة في شيء أن نقبل كل ما يفد إلينا قبولا مطلقا أو نرفضه رفضا مطلقا، يقول الشيخ محمود شاكر عن كتب المستشرقين ودراساتهم: "أما من حيث هي كتب أو دراسات علمية جديرة باحترام مثقف غير أوربي، أي من أبناء العرب والمسلمين خاصة، أي أبناء لغة العرب وأبناء دين الإسلام، فهذا عندئذ موضع نظر؛ لأن الأمر –ولا خيار لي أو لك فيه– يختلف اختلافا بيّنا حينئذ، ويتطلب النظر في أمرين: أمر الكاتب وأمر المكتوب معا"[١].

(١) الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٦٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا بد من الإشارة في بداية هذا البحث إلى أن كثيرا من الدراسات قد تناولت معجم دوزي بالبحث والدراسة والتحليل، أهمها:

– دراسة الدكتور عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد: "أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي" (رسالة دكتوراه) ، نشرتها عمادة البحث العلمي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م، وتقع في ثلاثة أجزاء، الأخير منها للفهارس، وهو عمل رائد مبني على منهج علمي رصين، واستقراء دقيق لأعمال المستشرقين في هذا المجال، استطاع فيه صاحبه أن يكشف عن طريقة تعامل المستشرقين مع تراثنا، وقدرتهم على فهمه، وكشف عن مناهجهم في صناعة المعاجم والفهرسة اللغوية، وفي الفصل الأول من الباب الثاني من الدراسة الذي جاء بعنوان: دراسة تحليلية لأعمال المستشرقين في المعجم العربي، خصص الباحث الفصل الأول منه لدراسة معجمين من معاجم المستشرقين أولهما: "تكملة المعاجم العربية للمستشرق الهولندي رينهارت دوزي.

– دراسة صالح علي صالح المحويتي: تكملة المعاجم العربية للمستشرق رينهارت دوزي. دراسة نقدية لمنهج الجزء الأول و مصادره. (رسالة ماجستير) بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية،١٩٩١م.

– دراسة علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية (بحث منشور) مجلة جامعة النجاح للأبحاث، فلسطين، المجلد ١٥، ٢٠٠١م.

– دراسة خالد بن سعود بن فارس العصيمي: الاستدراك في كتاب "تكملة المعاجم العربية" لدوزي، بحث منشور في مجلة عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، مجلد ٢٥، العدد ٥، ٦ الربيعان – الجماديان ١٤٢٥هـ/ مايو – يونيو– يوليو – أغسطس ٢٠٠٤م.

– دراسة ظافر القاسمي: لغة العرب. تمازجها مع اللغات الأخرى. نموذج من تحقيق العلامة دوزي في معجمه. بحث منشور بمجلة آفاق – اتحاد كتاب المغرب – المغرب، العدد الثاني، ١٩٦٤.

– دراسة أحمد عبد زيدان: تكملة المعجمات العربية نقد إبراهيم اليازجي، بحث منشور بمجلة المورد، العراق، المجلد ١١، العدد الرابع، ١٩٨٢م.

– دراسة الدكتور مالك ياسين: الألفاظ المستحدثة في المعجم اللغوي بين منهجية القدماء ورؤية دوزي في مستدركه. بحث منشور في مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، سوريا، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد (٤١) العدد (١)، ٢٠١٩م.

– البحوث المتعلقة بمعجم دوزي في ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس (١٥–١٧ أبريل ١٩٨٦م) وهي منشورة في كتاب بعنوان: "في المعجمية العربية المعاصرة" طبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، وهذه البحوث هي:

– منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية للدكتور إبراهيم بن مراد.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- ملاحظات على معجم دوزي وانكلمن، للدكتور حكمة علي الأوسي.

- البستاني مصدرا لدوزي، للأستاذ محمد القاضي.

- الاستيعاب في المعجم العربي الأوربي من حيث مناسبات التعويض ومناسبات السياق وأثره في المعرفة والتربية والترجمة للدكتور محمد رشاد الحمزاوي.

- النحويون واللغويون وموقف دوزي من التراث اللغوي للدكتور كيس فرستيخ.

ولا شك أن هذا البحث أفاد كثيرا من هذه الدراسات، وقد يتشابه مع بعضها في محاور، ولكنه في جملته يُعنى بقضية أخرى، ليبرزها ويكشف أثرها، وهي "معجم دوزي والدعوة إلى العامية"، وهو موضوع لم تتناوله البحوث السابقة.

وسوف أتناول هذه القضية في هذا البحث من خلال تمهيد ومبحثين

أولا: مصادر دوزي في معجمه في ضوء قواعد المعجمية العربية وضوابطها.

ثانيا: علاقة معجم دوزي بالدعوة إلى العامية.

وفي النهاية خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد:

أثار عنوان هذا البحث ثلاث نقاط أساسية ينبغي أن نتكلم فيها تمهيدا للدخول في مبحثيه، وهي:

١- معاجم المستشرقين حول اللغة العربية

٢- معجم دوزي

٣- المستشرقون والدعوة إلى العامية

أولا: معاجم المستشرقين حول اللغة

كان الدافع الأهم عند المستشرقين لدراسة اللغة العربية هو حرصهم على فهم ما أنتجته العقلية العربية من حضارة في رحاب الإسلام، وقدمته إلى غيرها، ولما كانت اللغة هي مفتاح ذلك فقد انصبت عنايتهم على هذه اللغة، غائصين في أعماقها وباحثين في جذورها ونشأتها، ليكتشفوا كنوزها ودررها، ويقفوا على أسرارها، بحرية وتفان وصبر وأناة، فلا مجال للشك في أن دراسة اللغة العربية، هي الأساس الأول لدراسة الحضارة العربية، والتعمق في فهم العالم العربي.

لقد أقبل المستشرقون على دراسة كل ما يتصل باللغة من قريب أو بعيد، فبحثوا في نحوها وصرفها وأصواتها، ولهجاتها وفقهها، وأطوارها وغزارتها ومادتها، ومعاجمها بشكل خاص، فالمعاجم هي مفتاح أسرار اللغة، وحافظة ثروتها، ومعيار ثرائها وغناها، ويعلم الدارسون للعربية قيمة المعجم فيها، ومنزلته الخطيرة بين علومها، حيث يأتي أسًّا من أسس بنائها، فهو مستودع مادّتها، ومزيل إبهامها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعل ما يؤكد أهمية الدراسات المعجمية للغة العربية هو حرص العرب الأوائل في بداية عنايتهم بدراسة لغتهم على صناعة المعاجم المختلفة، وليس بخاف على الدارس العربي قيمة معجم العين للخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) في مجال الدراسات المعجمية، فهو أول معجم عربي بناه مؤلفه على طريقة مبتكرة من الترتيب الصوتي؛ إذ استطاع الخليل أن يرتب مخارج الأصوات من أقصى الحلق إلى الشفتين، ويقيم معجمه على نظام التقاليب، كما أنه استطاع أن يحدد المهمل من كلام العرب، والمستعمل.

ولعظم هذا العمل صعُب على كثير من أعداء الإسلام والعربية أن ينسبوه إلى الخليل؛ فراحوا يكيلون التهم، ويدَّعون أن الخليل اقتبسه عن غيره من الأمم السابقة التي عرفت النظام الصوتي والمعجمي.

ومن الملاحظ كذلك أن بداية حركة التأليف في اللغة كانت في اتجاه المعجم، فمنهم من كان يجمع الألفاظ تحت باب واحد كالوحوش، أو السيوف، أو النخل، ومنهم من يجمع في كتاب عدة أبواب، ومنها ما يتناول الغريب ككتب غريب القرآن، أو غريب الحديث.

وقد كانت هذه الحركة مبنية على أساس علمي صحيح مأخوذ من سماع اللغة عن الموثوق بهم وبعد ذلك تم تدوينها بأسلوب وصفي دقيق.

وقد كانت هذه المادة هي الأساس الذي بنيت عليه علوم اللغة من نحو وصرف ومعاجم وغيرها؛ إذ توقفت حركة الجمع بعد ذلك، واكتفى العلماء بالمادة المجموعة يضعون قواعدهم على أساسها. ثم توالت بعد ذلك صناعة المعاجم، فأُلّفت المعاجم الكثيرة المتنوّعة التي بهرت علماء اللغات الأخرى.

ولأهمية المعاجم في البناء اللغوي، كان للمستشرقين نشاط واضح في صناعتها، فأصدروا عددا من المعاجم مع اختلاف بينها في مناهجها وأغراضها وأسسها، ولم تكن كلها في مستوى واحد من الجودة والإتقان، فمنها ما فقد قيمته، فلم يلق قبولا عند متلقيه، ومنها ما بقي زمنا طويلا أساسا من أسس المعاجم لديهم، ومنها ما أصبح نادر الوجود[١]. وليس المقام هنا مقام تفصيل وإبراز لجهود المستشرقين المعجمية، ولكن ما يعنينا هو التأكيد على أن لهم دورا كبيرا في الدراسات المعجمية العربية.

ثانيا: معجم دوزي

يحتل هذا المعجم مكانة كبرى بين معاجم المستشرقين العربية، مما جعله محلا لدراسات كثيرة ومتنوعة في هذا المجال، وقد تناوله عدد من الباحثين العرب في دراساتهم من زوايا متعددة، مثل: منهج تأليفه، وأسس بنائه، وما قدمه المعجم للمعجمية العربية...إلخ، وكثرة الدراسات حول هذا المعجم تؤكد على أهميته ومكانته.

ويعرف هذا المعجم بعدة أسماء في العربية نتيجة لاختلاف ترجمة عنوانه الذي وضعه له مؤلفه باللغة الفرنسية وهو (Supplément aux dictionnaires arabes) يقول مترجم الكتاب: "وقد ترجم هذا الاسم إلى العربية ترجمات مختلفة وجدنا منها: الملحق بالمعاجم العربية، وملحق بالمعاجم العربية، وملحق المعاجم العربية، وذيل المعاجم العربية، وملحق وتكملة القواميس العربية، وتكملة المعاجم العربية. وقد رأينا أن

(١) انظر: عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد ، أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، نشرته عمادة البحث العلمي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م، من ص ١٧٣-١٧٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نطلق على ترجمتنا لمعجم دوزي هذا الاسم الأخير "تكملة المعاجم العربية" لا لأنه أفضل ترجمات الاسم الفرنسي بل لأنه أشهرها وأسيرها ولذلك أطلقته مكتبة لبنان اسما لطبعة الأوفسيت التي نشرتها سنة ١٩٦٩"

ومؤلف هذا المعجم هو "رينهارت دوزي"[١]، وهو مستشرق هولندي من أسرة فرنسية الأصل بروتستانية المذهب، وقد ولد دوزي في ليدن عام ١٨٢٠م (١٢٣٥هـ) ، وقد بدأ يتعلم مبادئ العربية في منزله ثم واصل دراستها في جامعة ليدن... وقد حبب إليه أستاذه فايرس التعمق في دراستها ومعرفة غريبها ليستطيع أن يتفهم معاني الشعر الجاهلي، فانصرفت عنايته إليه واطلع على كثير من كتبها في الأدب والتاريخ، وقد عرف بالذكاء والجد والدأب على العمل في عهد الطلب وبعده. وعرف دوزي بحب الاستشراق، وعين أستاذا للعربية في جامعة ليدن عام ١٨٥٠م، فاستمر في كرسيه هذا حتى عام ١٨٧٨م، وكان دوزي على معرفة باللغات السامية ويحسن اليونانية ويكتب باللاتينية والهولندية والفرنسية والألمانية، ويعرف البرتغالية والأسبانية، وتوفي عام ١٨٨٣م (١٣٠٠هـ).

وكانت جامعة ليدن قد طلبت إلى المستشرقين تأليف رسالة في ملابس العرب وخصصت جائزة لذلك، فتطوع لها وهو طالب لم يتجاوز الثانية والعشرين وأحرز الجائزة، ودفعه فوزه إلى الكتابة في المجلة الآسيوية فنشر فيها تاريخ بني زيان ملوك تلمسان نقلاً عن المصادر العربية مع حواش وتعليقات قيمة.

---

(١) انظر ترجمته ومسيرته في مقدمة معجمه "تكملة المعاجم العربية" من ص ٥-٨، لمترجم المعجم د. محمد سليم النعيمي، طبعة الدار العربية للموسوعات.

لقي دوزي شهرة واسعة عادت عليه بالعديد من الأوسمة الرفيعة وألقاب الشرف تقديرًا لخدماته العلمية، ويراه أعلام المستشرقين أول فاتح للدراسات الأندلسية وتعد مؤلفاته فيها مرجعاً لتاريخ الأندلس وحضارته وثقافته جلتها في أحسن صورة على بعض هنات حققها من جاء بعد، وله نتاج كبير وضخم في الدراسات الاستشراقية حول العربية(١).

---

(١) من مؤلفاته: نقلا عن مقدمة معجمه لمحمد سليم نعيمي:

ا- تاريخ بني زيان ملوك تلمسان. نقلاً من المصادر العربية مع حواش وتعليقات، نشر في الجريدة الآسيوية سنة ١٨٤٤.

٢ - معجم في أسماء الملابس العربية في ٤٤٦ صفحة، طبع في أمستردام سنة ١٨٤٥.

٣ - شرح قصيدة ابن عبدون تأليف ابن بدرون، مع تحقيق وفهرس بالأسماء وعناوين الكتب المذكورة فيها مرتبة على حروف المعجم، طبع في ليدن عام ١٨٤٦ ومنتخبات منها نشرت عام ١٨٤٧ ثم تحقيق بعض أقسام من متنها، نشر عام ١٨٨٣.

٤ - كلام كتاب العرب في دولة بني عباد، وكان مجهولاً من قبل وقد استعان في إخراجه بالذخيرة لابن بسام، طبع في ثلاثة أجزاء في ليدن (عام ١٨٤٧ حتى عام ١٨٦٣).

٥ - ملاحظات على بعض المخطوطات العربية في ٢٦٠، صفحة طبع في ليدن عام ١٨٤٧ - ١٨٥٠.

٦ - فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة جامعة ليدن، طبع في ليدن عام ١٨٥١.

٧ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب لعبد الواحد المراكشي المولود في مراكش سنة ٥٨١ هـ، وهو تاريخ لدولة الموحدين، فرغ من إملائه سنة ٦٢١ هـ. وبآخره مقدمة باللغة الإنجليزية بقلم دوزي تشتمل على ترجمة المؤلف، نشرته اللجنة الإنجليزية للمطبوعات الشرقية، طبع في ليدن سنة ١٨٧٤م، وأعيد طبعه ثانية في ليدن عام ١٨٨١، وقد نقله فانيان إلى الفرنسية وطبع في الجزائر سنة ١٨٩٣.

٨ - بعض الأسماء العربية، نشرت في الجريدة الآسيوية سنة ١٨٤٧.

٩ - أدب قشتالة وأمير الأمراء، طبع في ليدن سنة ١٨٤٨.

١٠ - البيان المغرب في أخبار المغرب لابن عذارى المراكشي (أبو عبد الله محمد المراكشي، نبغ في أواخر القرن السابع للهجرة) وهو كتاب في أخبار المغرب الأقصى والأوسط، عني دوزي بتحقيقه، وصدره بمقدمة بالفرنسية، وله فيه تعليقات وشروح، طبع الجزء الأول منه

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

في ليدن سنة ١٨٤٨ والجزء الثاني سنة ١٨٤٩ – ١٨٥١، واختلطت بالجزء الأول قطع من نظم الجمان لابن القطان (المتوفى سنة ٦٢٧ هـ)، وبالجزء الثاني قطع من تاريخ عريب (ابن سعد القرطبي) الكاتب، وهو ذيل لتاريخ الطبري ينتهي إلى سنة ٣٦٥ هـ.

واستدرك دوزي على الكتاب المذكور وصحح بعض متنه مستخلصًا من نسخ خطية وجدها بمكتبة الأسكوريال بأسبانيا بتأليف سماه بما معناه " تصحيحات لنصوص البيان المغرب ولقطع من تاريخ عريب القرطبي وقطع من الحلة السيراء لابن الأبار " (٥٩٥ – ٦٥٨ هـ) طبع في ليدن سنة ١٨٨٣.

وقد نقله إلى الفرنسية فانيان واستدرك عليه في جزءين، وطبع في الجزائر سنة ١٩٠١ – ١٩٥٤، ثم صححه ليفي بروفنسال وكولين، ونشر ليفي بروفنسال الجزء الثالث منه، طبع في باريس سنة ١٩٣٢ وفي ليدن ١٩٣٤.

١١ – تاريخ المسلمين في اسبانيا إلى فتح المرابطين لها، في أربعة أجزاء تتألف من ١٤١٠ صفحة، يتناول الجزء الأول: الحروب الأهلية، والثاني: النصارى والمرتدين، والثالث: الخلفاء، والرابع: ملوك الطوائف، طبع في ليدن سنة ١٨٤٩ – ١٨٦١. وقد ترجمه إلى الإسبانية سانتياجو، وطبع في مدريد سنة ١٩٢٠، وأعاد طبعه ليفي بروفنسال في ليدن ١٩٣٢ فأصبح مرجعًا، ونقل عنه الاستاذ كامل الكيلاني مع كتاب ملوك الطوائف.

١٢ – نظرات في تاريخ الإسلام، وبحوث في تاريخ اسبانيا وآدابها في العصر الوسيط في جزءين، طبع مرات، وكانت الطبعة الثالثة في ليدن ١٨٨١.

١٣ – فهرس المخطوطات الشرقية في المجمع الهولندي بامستردام، طبع في ليدن سنة ١٨٥١.

١٤ – ابن رشد وفلسفته في الرد على رينان، مقالة نشرت في الجريدة الاسيوية سنة ١٨٥٣.

١٥ – نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب لأبي العباس المقرى، (المتوفى سنة ١٠٤١ هـ)، حقق الجزءين الأول والثاني منه وهما نصف الكتاب بمعاونة دوجا وكريل درايت، وطبعا في جزءين في ليدن سنة ١٨٦١ – ١٨٦٥. وقد صدر بمقدمة فرنسية ضافية في ترجمة المؤلف وقيمة كتابه. ومع الجزء الثاني فهرس فيه أسماء الرجال والكتب وملحوظات.

١٦ – تعليقات على رحلة ابن بطوطة لناشريها ديفريميري وسانجينتي، نشرت في حوليات جوتنجن عام ١٨٦٠.

١٧ – إسبانيا في عهد كارلوس الثالث، نشر سنة ١٨٥٨.

١٨ – مملكة غرناطة نشر في المجلة الشرقية الألمانية سنة ١٨٦٢.

يقول دوزي في مقدمته لمعجمه: "إن هذا المعجم كان حلم شبابه، وإنه خلاصة عمل أربعين سنة جمع فيها مواده، وإن تنسيقه وتحريره اقتضاه ثماني سنوات من عمره قضاها في عمل دائب، وكان من همه أن يجمع فيه ما لم يرد في المعاجم العربية القديمة التي وقفت باللغة في حدود معينة من الزمان والمكان، فيثبت فيه الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور وفرضها تقدم الحضارة ورقي العلم، واستعملها مؤلفو العصور الوسيطة ومن جاء بعدهم من مؤرخين وقصاص وجغرافيين ونباتيين وأطباء وفلكيين وغيرهم مما أهملته المعاجم القديمة"(١).

---

١٩ – تاريخ الإسلام من فجره حتى عام ١٨٦٣، كتبه بالهولندية، وطبع في ليدن سنة ١٨٦٣، وقد نقله إلى الفرنسية شونين، وطبع في ليدن سنة ١٨٧٩.

٢٠ – ونشر بمعاونة دى غويه: الجزء الخاص بأفريقية والأندلس وأرض السودان من " نزهة المشتاق "، للشريف الإدريسي وسميا الكتاب صفة المغرب والسودان، ومعه مقدمة بالفرنسية، وفهرس الأسماء وشرح الكلمات الاصطلاحية الموجودة فيه، واعتمدا في تحقيقه على مخطوطة المكتبة الأهلية في باريس، طبع في ليدن سنة ١٨٦٦.

٢١ – تاريخ العرب السياسي والأدبي، منتخبات من جملة تواريخ ولا سيما من الحلة السيراء لابن الأبار، شارك معه فيه مرقص يوسف موللر، وطبع في موينخ سنة ١٨٦٦ – ١٨٧٦.

٢٢ – أتم معجم الألفاظ الاسبانية والبرتغالية من أصل عربي لانجلمان، طبع في ليدن سنة ١٨٦٩.

٢٣ – كتب بحثًا عن عريب بن سعد الكاتب القرطبي، وربيع بن سعيد الأسقف، نشر في المجلة الشرقية الألمانية سنة ١٨٦٦.

٢٤ – دراسة لمقدمة ابن خلدون، التي نشرها دس سلان المتوفى سنة ١٨٧٩، وكان قد أتم بها ترجمة مقدمة ابن خلدون التي شرع فيها كاترمير، في ثمانين صفحة نشرها في الجريدة الآسيوية.

٢٥ – رسالة إلى فليشر في الطبعة العربية لنفح الطيب، نشرت في ليدن سنة ١٨٧١.

٢٦ – تقويم سنة ٩٦١ لقرطبة المنسوب إلى عريب بن سعد القرطبي وربيع بن زيد الأسقف، نشره مع ترجمة له باللغة اللاتينية وطبع في ليدن عام ١٨٧٣.

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ٨–٩

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثا: المستشرقون والدعوة إلى العامية

أشرنا في مقدمة هذا البحث إلى هذا الأمر، ونؤكد عليه هنا مرة أخرى، فالدعوة إلى العامية من أكبر المشكلات التي تواجه العربية، وأشدها خطرا عليها، وهذه الدعوات تستهدف غايتين(١):

١- تفريق المسلمين عامة، والعرب خاصة: وذلك بتفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة والثقافة، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المحتمل بين مسلمي العالم؛ حتى لا تتم وحدتهم الكاملة.

٢- قطع ما بين المسلمين وبين قديمهم: والحكم على كتابهم (القرآن) وكل تراثهم بالموت؛ لأن هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم، ويضم بعضهم إلى بعض.

وينقسم الداعون إلى العامية والمروجون لأهدافها إلى قسمين : قسم لا ينتمي أصلاً إلى العربية، والقسم الآخر : قسم ينتمي إلى العرب، ولكنه انتماء بالاسم فقط، فهو في جوهر أفكاره ومعتقداته ونفسيته وعواطفه غربي محض .

ولسنا في هذا البحث بصدد التأريخ للدعوة إلى العامية وذكر أصحابها، فهذا موضوع بحث كثيرا، وإنما نحن معنيون هنا بإبراز العلاقة بين الدعوة إلى العامية والاستشراق.

ولكن ما ينبغي أن نشير إليه أن الدعوة إلى العامية ارتبطت بالوجود الاستعماري في المنطقة العربية؛ ارتبطن به على وجه يجعل من العاميات سلاحا ضد الفصحى، ويقف بهما في موقف الخصومة والعداء(٢).

---

(١) انظر: د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب بالجماميز، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢/ص ٨٤ .

(٢) راجع: بنت الشاطئ (د. عائشة عبد الرحمن): لغتنا والحياة، دار المعارف، الطبعة الثانية، ص ٩٧.

وللدعوة إلى العامية أساليب متعددة ومتنوعة، وتأتي على أنحاء شتى[١]، فتارة يدعون إلى العامية دعوة صريحة، وتارة يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية، وتارة يدعون إلى فتح باب التطور في اللغة، والاعتراف بحق الكتاب في تغييرها كيفما كان التغيير، وتارة يدعون إلى مسخ اللغة في بنيتها، وقواعدها، وتبويبها، ومصطلحها باسم التهذيب والتطوير والتيسير، وتارة يكتفون بالدعوة إلى دراسة اللهجات والعناية بآثارها، وحصر مفرداتها وأساليبها، ووضع القواعد لها.

ولكن أخطر ما تغلفت به الدعوة إلى العامية هو دراسات المستشرقين، فمما لا شك فيه أن الدعوة إلى العامية مرتبطة بالاستشراق[٢]، إذ أصبحت من أهداف المستشرقين الذين يريدون ضرورة معارضة اللغة الفصحى لغة القرآن، وتقدم جماعة من الغربيين ما بين مهندسين وقضاة للتأليف بالعامية وجمع التراث المزيف حتى تنتقل الدعوة من الكلام عن اللهجة إلى ما يطلق عليه لغة عامية في هذه المناطق قبل الإسلام.

ويقول الأستاذ أنور الجندي: كانت تلك الحفريات التي قام بها ويلكوكس، ويلمور وسبيتا وغيرهم مقدمات لمخطط الاستشراق بالنسبة للغة العربية الذي لم يلبث أن ظهر واضحاً على أيدي جماعة المستشرقين في العالم والذي تكشف صريحاً في الدعوات التي دعا إليها لويس وكولان وبروكلمان.

---

(١) انظر: السابق، ج٢/ص ٣٦٩

(٢) راجع: أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، لبنان –بيروت، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، الفصل الثالث بعنوان الدعوة إلى العامية، ص ١٢٦-١٣٥، والفصل الرابع بعنوان: الاستشراق ومقاومته للفصحى، ص ١٣٥ – ١٤٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهناك غاية خفية هي الباعث على خدمات المستشرقين للغة العربية وللتراث العربي خاصة، لأن اهتمام المستشرقين باللغة العربية كان يراد به التمهيد للحملات الاستعمارية، تقول بنت الشاطئ: "كأنما كانت تحركهم قوة منظمة لا تدع مجالا لجانب من جوانب حياتنا إلا عينت له من يختص به، ولا تسمح بفراغ في ميدان دراسة التراث، دون أن تجد له من يملؤه"(١).

فعلاقة الدعوة إلى العامية بالاستشراق علاقة وطيدة أتت كسلسلة متوالية من مخططات الاستشراق للغة العربية، وإذا كان الاستشراق عدو اللغة العربية أساساً لما يرتبط من هدف باستبقاء النفوذ الاستعماري فإن المستشرقين من ناحية أخرى يعجزون عن فهم البيان العربي وهم يخطئون في فهم البلاغة العربية.

فكانت علاقة الاستشراق بالعربية علاقة عداء؛ لأنها لغة دين ولأنها معارضة لنفوذ الاستعمار، فلذلك كانت هذه الحرب أقصد الدعوة إلى العامية.

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ: "إن اللغة العربية بالنسبة إلى المستشرقين لغة أجنبية عنهم، ومهما أتقنوها وأجادوا تعلمها فهم يعجزون عن تذوق بعض أساليبها ويحول تركيبهم الاجتماعي وتكوينهم الحضاري دون النفاذ إلى ما وراء الكلمات والحروف من شفافية وحسن وأسرار مبثوثة، وهذا أوقع بعضهم في أخطاء دفعتهم إلى إصدار أحكام مجحفة سجلوها ظلما على بعض مفاهيم الإسلام"(٢).

وتؤكد بنت الشاطئ على رؤيتها عما يصدر عن المستشرقين مرة أخرى، فتقول: "ولكن منهم كذلك من يتجرد للبحث النزيه، ثم يخونه الحق

(١) بنت الشاطئ (د. عائشة عبد الرحمن): تراثنا بين ماض وحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م، ص ٥٠
(٢) نقلا عن الأستاذ أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، ص ١٣٩-١٤٠

أثرا لما يسيطر على ذهنه من أفكار سابقة عن عقيدتنا وتاريخنا، يعز عليه أن يتخلص من احتكامها في توجيه النصوص"[١].

ثم تتساءل عن السر وراء حرصهم الشديد على دراسة تراث العربية، فتقول: "ما الذي يغري الغرب الحديث بتراثنا، وقد أدى غرضه في خدمة عصر الإحياء، وصار للغرب الدور القيادي للحضارة المادية والعلمية؟ هل يفتش فيه عن شيء قد يكون فاته فيما عرف من تراثنا؟ أو هل يرى فيه ميراثا إنسانيا من حقه أن يصان وينشر، ما دام أهله قد نبذوه وأضاعوه؟ قد يبدو الأمر كذلك مع قلة من علماء الاستشراق المخلصين الأمناء. لكن الواقع التاريخي يؤكد أن حركة الاستشراق جملة، وجهت في مراحلها الأولى إلى خدمة غرض آخر، لا يعنيه تراث الشرق إلا بقدر ما يكشف عن عقليات شعوبه وأمزجتهم وأسرار ذاتهم ومواضع القوة والضعف فيهم، توطئة لحملات التبشير وموجات الاستعمار التي تدفقت على شرقنا الآسيوي الإفريقي، من القرن الثامن عشر. فحين نسأل التاريخ عن حركة الاستشراق كيف نشأت، يلقانا جوابه الصريح بأنها قامت أول ما قامت في رعاية الكنيسة الكاثولوكية وخضعت لإشراف مباشر من كبار أحبارها"[٢].

ويقول الأستاذ فيليب دي طرازي: "وقام أساس الاستشراق في بداية أمره لغاية دينية محضة هي درس الكتاب المقدس وترجمته. ثم توسع علماء الاستشراق في أهدافهم وميولهم وأبحاثهم فجعلوه سياسيا ولغويا

(١) بنت الشاطئ: تراثنا بين ماض وحاضر، ص ٥٧
(٢) بنت الشاطئ: تراثنا بين ماض وحاضر، ص ٥٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

معا. ولم يدخروا وسعا في تعزيزه بكل الوسائل المادية والأدبية إدراكا لما توخوه من الأهداف وتحقيقا لتلك الميول والأبحاث"(١).

وإذا كان بعض من يتعاملون مع دراسات المستشرقين ينخدع بدأبهم في البحث العلمي وصبرهم، فالغاية التي يسعون لتحقيقها تدفعهم إلى ذلك، يقول أنور الجندي: "وإذا كان المستشرقون يعادون العربية من حيث هي دين ومن حيث هي معارضة لنفوذ الاستعمار فإنهم وجهوا إليها الحرب بأسلوب دقيق هو أسلوب البحث الذي يحمل طابعا علميا براقا ويحاول أن يخضع اللغة العربية لما خضعت له اللغات المختلفة غاضين الطرف عن الفارق العميق والواسع والبعيد المدى الذي يحكم اللغة العربية ولا يحكم لغات العالم كله وهو القرآن"(٢).

وحملة الاستشراق على اللغة العربية مرتبطة بحملته على القرآن، كما كان "الاستشراق هو عين الاستعمار التي بها يبصر ويُحَدِّق، ويده التي بها يُحِسُّ ويبطِش، ورجله التي بها يمشي ويتوغل، وعقله الذي به يفكر ويستبين، ولولاه لظل في عميائه يتخبط، ومن جهل هذا فهو ببدائه العقول ومسلماتها أجهل"(٣).

وعلى فرض إذا ما أحسنا الظن في دراسات بعض المستشرقين حول اللغة العربية فإنها على قدر ما أفادت من عدة نواح، فقد أضرت بالعربية من نواح أخرى، فهؤلاء المستشرقون لا يمكن أن يصلوا إلى درجة إتقان

---

(١) فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، لبنان، ج٢/ ص ٦١١

(٢) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، ص ١٤٠

(٣) الشيخ محمود شاكر: رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٨٧.

اللغة العربية، وفقه البيان العربي، وإدراك أسرار البلاغة العربية، بدرجة تؤهلهم لأن يكونوا في مصاف علماء اللغة المقتدرين، على حد ما أشارت إليه بنت الشاطئ قبل[١].

(١) انظر: أنور الجندي، الفصحى والإسلام ص ١٣٩-١٤٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المبحث الأول

مصادر دوزي في معجمه في ضوء قواعد المعجمية العربية وضوابطها

يتناول هذا المبحث الأسس العامة التي بنى عليها دوزي معجمه، ونجملها في ثلاثة محاور: مصادره في جمع المادة، ومنهجه في المعجم، وطريقة ترتيبه لمواد معجمه.

أولا: مصادره في جمع المادة

جمع المؤلف في معجمه ما لم يرد في المعاجم العربية القديمة التي وقفت باللغة في حدود معينة من الزمان والمكان، فأثبت فيها الألفاظ الطارئة التي دعت إليها ضرورات التطور وفرضها تقدم الحضارة ورُقي العلم، واستعملها مؤلفو العصور الوسيطة ومن جاء بعدهم من مؤرخين وقصاص وجغرافيين ونباتيين وأطباء وفلكيين وغيرهم مما أهملته المعاجم القديمة.استمد "دوزي" الكثير من مواد معجمه من مجموعات الألفاظ التي ألحقها المستعربون فيما نشروه من كتب عربية مختلفة أو ترجموه إلى لغاتهم منها، كما استمدها من المعاجم العربية التي ألفها المستعربون، من عربية – لاتينية أو إسبانية أو إيطالية أو إنجليزية أو فرنسية وما جاء من ألفاظ في كتب الرحالة الغربيين باللاتينية والفرنسية والإنجليزية والألمانية.

وبناء على ما سبق، فمصادر دوزي التي اعتمدها تبلغ نحو ٤٣٠ مصدرًا، وهي موزعة على نوعين: (١)

---

(١) انظر في تفصيل ذلك: – دوزي: مقدمة معجم تكملة المعاجم العربية، ص ١٩–٢٥
– علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية (بحث منشور) مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ١٥، ٢٠٠١م، ص ١٧–١٨

مصادر رئيسة :أفادت المؤلف في معجمه على مستوى المفردات والشرح، وقد ذكرها فبلغت نحوًا من ٣٨٧ مصدرا، وهي في معظمها مؤلفات للمستشرقين، أو تعليقات وحواش لهم على بعض المؤلفات العربية وكتب التراث العربية، التي أرادها من القرون الوسطى التالية للقرن الثالث الهجري، وأكثرها من كتب الأندلسيين والمغاربة، ولذلك كانت تمثل في معظمها لهجة خاصة، ودلالات خاصة بمنطقة جغرافّية معينة من العالم العربي الإسلامي، وفي فترة زمنية محددة، وإن كانت واسعة نوعًا ما.

إضافة إلى ما أخذه عن معجم البستاني "محيط المحيط"، وهو يمثل اللهجة الشامية، والألفاظ العاميّة فيها، والألفاظ المسيحية أيضًا(١).

ويبلغ عدد مؤلفات المستشرقين نحوًا من ٢٨٥ مصدرًا من مصادر دوزي الرئيسة، التي ذكر أنها نحو من ٣٨٧ مصدرًا.

مصادر ثانوية: ذكرها في قائمة خاصة، وعددها ٤٣ مصدرًا، كلها أجنبية لرحّالة أجانب، وقال" إنه لم يجد فيها ما يفيد المعجم.

وقد ذكر دوزي في مقدمته أهم المصادر من بين جملة مصادره الكثيرة جدًا،" فذكر قبل كل شيء ثلاثة معاجم أُلّفت في إسبانيا في القرون الوسطى:

- أقدمها المعجم اللاتيني العربي الذي تتضمنه مخطوطة ليدن رقم (٢٣) ، وقد رمز إليه بحرف" ل"

(١) محمد القاضي: بحث "البستاني مصدرًا لدوزي" في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٣٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- ومعجم آخر عربي لاتيني ولاتيني عربي، هو الذي أشارY ليه بالرمز "فوك."

- والمعجم الثالث هو المعجم الذي صنّفه الأب بدْرو دي ألكالا.

- ثم معجم محيط المحيط للبستاني.

وذكر بعد ذلك أنه انتفع -ربما بشكل أقل- بمعاجم أخرى كبيرة وصغيرة مثل :ياجني، وبوشر، وهمبرت، وهلو، ورولانددي بسي، ودوبي، وشربونو وغيرها، ومعجم برجرن، ومعجم مارسيل وغيرهما.

وبنظرة عامة إلى هذه المصادر يتبين أنها في جملتها تمثل فترة زمنية معينة، وتمثل لغة القرون الوسطى، كما ذكر هو نفسه في غير موضع في مقدمته. وتمثل أيضًا لغة عامية، ولهجة من اللهجات التي كانت سائدة في الأندلس والمغرب، إضافة إلى بعض ما يمثل اللهجة الشامية، وعلاوة على ذلك، فإن اعتماد دوزي على المعاجم الثنائية (عربية – فرنسية أو عربية - لاتينية أو عربية – إسبانية، أو العكس)، وطريقة شرحه بالفرنسية في معظم الأحيان، كل ذلك يدل على أنه أراده معجمًا ثنائيًا أيضًا، وأنه أراده من مصادر المستشرقين وكتبهم ومعرفتهم وثقافتهم وشروحهم وتعليقاتهم - بصورة عامة-؛ ويبدو أن هذا التصرف متسق مع ما ذكره الشيخ شاكر عن نتاج المستشرقين إذ يقول: "كتب الاستشراق ومقالاته ودراساته كلها مكتوبة أصلا للمثقف الأوربي وحده لا لغيره وأنها كتبت له لهدف معين، في زمان معين، وبأسلوب معين، لا يراد به الوصول إلى الحقيقة المجردة، بل الوصول الموفق إلى حماية عقل الأوربي المثقف من ان يتحرك في جهة مخالفة للجهة التي يستقبلها زحف المسيحية الشمالية على دار الإسلام في

الجنوب وأن تكون له نظرة ثابتة هو مقتنع بصحتها ينظر بها إلى صورة واضحة المعالم لهذا العالم العربي الإسلامي وثقافته وحضارته وأهله"[١].

وقد عيب عليه في جمع مادته عدة أمور[٢]، أهمها:

- أنه لم يستوف ذكر كل الألفاظ التي وردت في المصادر التي اعتمد عليها.

- أنه أهمل متعمداً ألفاظ المتصوفة، ومصطلحات العلوم العربية والدينية، كما أهمل ذكر مصطلحات علوم الأوائل، وفي المقابل دوَّن المصطلحات المسيحية من معجم البستاني.

- أنه لم يرجع إلى المعاجم العربية القديمة ليتأكد من أن ألفاظ معجمه ليست موجودة فيها، وكان من أثر هذا أنه أثبت في معجمه كثيرًا من الألفاظ التي وردت في الكتب العربية المنشورة، وهي مذكورة في هذه المعاجم، وقد فسرها بمثل ما فسرت فيها معتمدًا في الكثير من ذلك على ما ذكره "أدور لين" من تفسير لها بالإنجليزية في معجمه "مد القاموس".

- سجل دوزي الموّلد والدخيل والمعرّب ومستويات أخرى مختلفة من اللغة منها الملحون والمحرّف والشاذ، وقد رأى أن إدخال هذه الألفاظ مناهَضة للصفوية اللغوية، ولأنها عناصر أساسية في المعجم متممّة لرصيد اللغة الأصلي الفصيح[٣].

---

(١) الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، ص ٦١

(٢) انظر: د. محمد سليم النعيمي، مقدمة ترجمته لمعجم دوزي، ص ٩

(٣) انظر: دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة ص ٢٧، ود. إبراهيم بن مراد: الدراسات في المعجم العربي، ص ٢٠٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– خَلط العامي بالفصيح، بالدخيل، بالمحرّف، من غير أن ينص على مستوى كل لفظة، وهذا يتسبب في إفساد اللغة واختلاط مستوياتها، وذكر في معجمه كثيراً من الألفاظ العامية التي وجدها في المصادر التي اعتمد عليها من غير أن يشير إلى أنها من كلام العامة، ودون أن يحلل طبيعة هذه الكلمات وطريقة ظهورها، ولا توجد إشارة إلى أن هذه الكلمات لها استعمال محصور في بعض الأقطار العربية بل إنه يحذف هذه الإشارة إذا وجدها مثبتة في المصدر الذي ينقل عنه، فلم يكن دوزي معنيا مطلقا بتوثيق فصاحة اللفظ، وربما من وجهة نظره لم ير ضرورة لهذا الأمر ولعل حذفه لما وضعته المعاجم السابقة له من إخبار عن عامية الكلمة أو فصاحتها يؤكد ذلك. وهذا النهج جعل من المعجم خليطا من الكلمات العامية والفصيحة، ولذلك فالمعجم لا يعتبر مرجعا للغة العربية في العالم العربي.

– الاقتصار على فترة زمنية معينة، وهو المأخذ الذي أخذه على المعاجم القديمة، بيد أنه قد يغفر له ذلك؛ لأنه أراده معجمًا لتلك الفترة التي حددها، وتكملة للمعاجم التي توقفت عند أوائلها.

– اقتصر على تسجيل لغة إقليم معين أو أقاليم محدودة ولهجاتها.

إن مصادر دوزي تدل دلالة واضحة على أن الرجل كان مؤرخا ومعنيا بالتاريخ أكثر من عنايته باللغة وبفترة خاصة من التاريخ، وهي التاريخ الأندلسي والمغربي، ويؤكد ذلك قائمة مؤلفاته ومقالاته، إضافة إلى أنه صرح بأنه كان من المنصرفين إلى التاريخ أكثر من أي شيء آخر، إضافة إلى أن اختصاص المصادر بالمستشرقين وبفترة معينة وأقاليم معينة صبغت معجمه بصبغات أثرت فيه، منها: اللهجة الأندلسية الإسلامية والمغربية

والبربرية، واللهجة الشامية بدرجة أقل، والمصطلحات الطبية والنباتية والزراعية، كما حوى ألفاظا مغرقة في العامية المحلية، ولها صلة بالأدب العابث الماجن، وحوى ألفاظا دخيلة ومعربة بشكل واضح، كل ذلك كان متولدا عن اختصاصه بمصادر معينة، فهو حاول الابتعاد عن الاختيار والصفوية التي كانت قد وقعت فيها المعاجم العربية القديمة -بحسب رأيه-، التي اعتمدت اصطفاء القصيدة ولكنه وقع في ذلك العيب من حيث لا يقصد، لأن مصادره اتسمت بسمات خاصة، فيها درجة ما من الخصوصية، ولعل هذا ما دفع إبراهيم اليازجي أن ينتقد دوزي في عدة أمور منها: "أنه كان ضعيف السبب في فهم العربية فصيحها ومحدثها، إذ إنه جمع في كتابه كل ما رآه مكتوبا بقلم عربي لم يتدبر في ذلك لحنا، ولا تحريفا، ولم يستثن لغوا ولا خطأ، ولا يكاد ينبه على شيء منه"(١).

والحق أن دوزي لم يكلفنا عناء في البحث عن مصادر معجمه فقد كان الرجل أمينا في عرضه لهذه المصادر في مقدمته للمعجم، ومن خلال النظر في هذه المصادر نخلص إلى ما يلي:

- حاول دوزي أن يقدّم المعجم اللغوي الذي يُعنى بتاريخ الكلمات عبر العصور، ولكنّه بدا في ذلك الصنيع مؤرّخاً أكثر منه معجميّاً، فالمعاجم العربية لها أسس ومقاييس وضوابط تخصّ العربيّة وحدها من دون غيرها من اللغات الأجنبيّة ولا يجوز مطلقاً تجاوز هذه الأسس والضوابط والمقاييس في إضافة أية كلمة للمعاجم العربية، كما تجاوزت جهوده المعايير الزمانيّة والمكانيّة المعتمدة في تصنيف المفردات العربيّة، فهو لم

(١) انظر: إبراهيم اليازجي: أربع مقالات نشرت في مجلة الطبيب عدد ١٨٨٤ وهي تضم ما بين الصفحات التالية (٢٨٦-٢٨٨)، (٣٠٥-٣٠٩)، (٣٢٥-٣٢٨)، (٣٤٦-٣٥٠).

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يكترث بمفهوم الفصاحة عند اللغويّين العرب القدامى، كما لم يكترث بمفهوم الاحتجاج اللغويّ وشروطه، بل أراد أن يقول: إنّ الفصاحة فصاحات، وانّ المستجدّات التي طرأت على الأمصار العربيّة رافقتها ألفاظ مستحدثة في شئون حضاريّة مختلفة، كان جديرا من وجهة نظره الاهتمام بها وضمها إلى الرصيد المعجمي، وانْ كانت خارج فترة الاحتجاج اللغوي.

ثانيا: منهجه في المعجم:

وضع دوزي لنفسه منهجا وأسسا لبناء المعجم في مقدمة كتابه "المعجم المفصل في أسماء الملابس عند العرب "فقد قال" :عندما أتحدث عن معجم عربي؛ فإني أعني معجمًا يُعرّفنا بوضوح ودقة كل ما طلبنا، فيه المعنى الدقيق لأي لفظ في أصل استعماله، بمختلف الدلالات المستحدثة التي طرأت عليه في جزيرة بلاد العرب وبلاد فارس والشام والمغرب...الخ، وهو معجم يرسم لنا بالاعتماد على الشواهد والنصوص اعتمادًا مستمرًا تاريخ كل لفظ وكل عبارة، ويميز بين المعاني الخاصة بكل لفظ في مصر عربي ما، والمعاني التي كان يفيدها في مصر آخر؛ بين مدلول كل لفظ عند الشعراء ومدلوله عند الناثرين .ثم هو معجم يشتمل على كل مصطلحات العلوم والفنون مفسَّرة تفسيرًا منهجيًا، لكنني أعيد القول بأن الزمن الذي يمكننا فيه وضع مثل هذا المعجم لا يزال بعيدًا"(١).

---

(١) انظر:

- دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة د. أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المغرب، المجلد الثامن، الجزء الثالث، ص٢٦
- إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي، ص ١٩٩ .

ولكننا إذا نظرنا إلى هذا التصور النظري الذي وضعه دوزي للمعجم المنشود نجد أن معجمه "تكملة المعاجم العربية" في جملته كان بعيدا عنه، وهناك تباين ملحوظ في تعامله مع الألفاظ، ولم يجر على نسق واحد في شرح معاني الألفاظ وتفسيرها، فبينا نراه حيناً يفصل كل التفصيل في تفسير بعض الألفاظ ويأتي بالنصوص المختلفة، لذلك نراه حيناً آخر يوجز كل الإيجاز فيكون تفسيره لها مجملاً لا غناء فيه، وكثيراً ما يكتفي بذكر ما يقابلها بالفرنسية وأحياناً قليلة ما يقابلها باليونانية أو اللاتينية أو العبرية فقط، بل قد يكتفي بأن يفسر بعض الألفاظ بقوله: صنف من الطير، أو صنف من السمك، أو حيوان، أو نبات لا يزيد على ذلك شيئاً.

ثالثا: طريقة ترتيبه لمواد معجمه

وضع دوزي معجمه على نسق المعاجم الغربية فنسق ألفاظه على نسق حروف الهجاء العربية المألوف عندنا ورتبها حسب ترتيب الحروف فيها، لكنه خرج على هذا الترتيب حين تكون الألفاظ مضعفة العين واللام، فقد ذكر مثلاً: أفّ قبل أفام .. الخ، وأم قبل أما وأماج .. الخ، وأنَّ قبل أنا وأناغاليس .. الخ، وبحَّ قبل بحث .. الخ، وبخَّ قبل بخت .. الخ، وبدَّ قبل بدأ إلى آخره، وبرّ قبل برأ .. الخ.

كما أنه رتب الأفعال على نسق ترتيبها في كتب القواعد التي وضعها الفرنجة للغة العربية، فهي مرتبة فيه كما يلي: ١ – فَعَل، ٢ – فعّل،٣ – فاعل، ٤ – أفعل، ٥ – تفعل، ٦ – تفاعل، ٧ – انفعل، ٨ – افتعل، ٩ – افعلَّ، ١٠ – استفعل، هذا عن الفعل الثلاثي ومزيده.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أما الفعل الرباعي المجرد ومزيده فقد ذكر: ١ – فعلل، ٢ – تفعلل. وقد اكتفى في كل ذلك بذكر الأرقام الدالة عليها، ولم يذكر غير ذلك من الأفعال المزيدة. كما أنه لم يشر إلى أبواب الفعل الثلاثي المجرد وكثيرًا ما يختلط عليه الأمر في ذلك.

المبحث الثاني

علاقة معجم دوزي بالدعوة إلى العامية

بعد أن استعرضنا في المبحث الأول: مصادر دوزي في معجمه يأتي هذا المبحث الذي نناقش فيه علاقة معجم دوزي بالدعوة إلى العامية، من خلال طرح عدة أسئلة والإجابة عليها، وهي:

- ما موقف دوزي من اللغة العربية الفصحى؟
- إلى أي مدى ضمن دوزي كلمات عامية في معجمه؟
- هل ما ورد في معجم دوزي من كلمات عامية كان عن قصد أم عن غير معرفة بأصول الكلمات وطريقة إدخالها إلى العربية؟

لعل الكلمات التي قالها دوزي في مقدمة معجمه تكشف اللثام عن بعض موقفه من اللغة الفصحى، فهو يقول: "إن اللغة العربية الفصحى، لغة الشعر القديم ولغة القرآن والحديث، لم تعش إلا نحوا من مائتي سنة. ففي نهاية القرن الأول الهجري، وقبل أن يكون للعرب أدب جديد، أصاب اللغة كثير من التغيير أخذ يزداد شيئا فشيئا"(١).

فهو هنا يرى أن الفصحى كانت مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية وانتهت، وربما انتهت مع هذه المرحلة الحاجة إليها، ويتضح هذا من الأسباب التي ساقها من وجهة نظره وأدت إلى هذا التغير الذي أصاب اللغة العربية، فيقول: " وقد كان هذا – يقصد التغير الذي أصاب اللغة الفصحى– نتيجة الفتوحات السريعة، فتوحات تشبه المعجزات فتحها المسلمون أتباع

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ١٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الرسول. فلم تبق العربية لغة العرب وحدهم، وإنما أصبحت لغة البلدان المفتوحة، وقد كان لمخالطة الشعوب المغلوبة التي بدأت تتكلم اللغة العربية وتلحن في كلامها، أثر في العرب أنفسهم. فقد أهملوا إعراب الكلام، واستعملوا الكلمات بمعان محرفة عن معانيها، واستعاروا من الشعوب المغلوبة، من أهل الشام، ومن الفرس، ومن الأقباط، والبربر، والأسبان والأتراك كثيرا من الألفاظ والعبارات.

إن هذا الاختلاط لم يكن السبب الوحيد، بل لم يكن السبب الرئيس لتغير اللغة وإنما يجب أن نفتش عنه في الحالة الجديدة التي صار إليها الفاتحون أنفسهم. لقد كانوا قبل الفتح بدوا أو من سكان القرى الصغيرة يحيون حياة بسيطة، فوجدوا أنفسهم بعد الفتح قد انتقلوا إلى عالم كل شيء فيه جديد عليهم، وجدوا أنفسهم في أحضان مدن كبيرة تسود فيها حياة الترف والبذخ، وتزخر بالحضارات القديمة، حضارة الروم والفرس، ولم يمض عليهم غير قليل، ونقول هذا إنصافا لهم، حتى أخذوا يتعلمون من رعاياهم الجدد، فبدءوا يدرسون بحماسة وشوق الفنون والعلوم التي كانت غريبة عنهم، فحدث تغير كامل في أفكارهم وفي عاداتهم، وكان لابد أن تتأثر لغتهم بهذا الانتقال الفجائي من حياة بدوية نصف بربرية إلى حضارة ناعمة يسود فيها الترف"[(١)].

ثم يقرر دوزي أن هذا التغير الذي أصاب الفصحى أفقرها في أشياء وأغناها في أشياء أخرى، فيقول: "لقد افتقرت لغتهم من ناحية واغتنت من ناحية أخرى، فقد أهمل فيها هذا الفيض الزائد من الكلمات التي تزدحم بها

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ١٣

العربية الفصحى، ولعل هذا المهمل منها كان ثلث اللغة، وهي كلمات تعبر عن الأفكار البدوية إذا صح هذا القول، مع العلم أن الكثير منها لم يكن شائع الاستعمال في أي زمان. وقد وضعوا مقابل ذلك، تساعدهم عبقرية لغتهم، ألفاظا جديدة للتعبير عن الأشياء والأفكار التي كانوا يجهلونها من قبل، أو غيروا في معاني الكلمات القديمة. وقد حصل هذا التغير في البلدان التي كان يسود فيها العرب ولكن على درجات مختلفة. ثم تجزأت الإمبراطورية العربية، وقد ساعد هذا التجزؤ من غير شك على الإسراع في نشوء اللهجات المحلية حتى أصبح لكل إقليم لغته الخاصة".(١)

والعجيب في هذا الكلام أن يطلق دوزي هذا الحكم دون دراسة إحصائية تحليلية دقيقة للكلمات التي اندثرت في العربية، وهي بزعمه ثلث اللغة، ويطلق حكما آخر يقول فيه إن هذه الكلمات المندثرة كانت تعبر عن أفكار بدوية، وقد يحار المرء هنا وهو يقرأ هذا الكلام ويتساءل : ما هو نصيب القرآن الكريم من هذه الألفاظ التي اندثرت – في رأي دوزي–؟ وهل ما ورد في القرآن من هذه الألفاظ كانت هذه الكلمات تعبر عن أفكار بدوية؟ فقد قال في بداية كلامه: " إن اللغة العربية الفصحى، لغة الشعر القديم ولغة القرآن والحديث، لم تعش إلا نحوا من مائتي سنة"(٢).

ويسير دوزي في رحلته الكاشفة عن موقفه تجاه الفصحى ويقرر أن هذا التغير الذي أصاب اللغة لاقى مقاومة عنيفة من بعض الفئات فيقول: "ولم يحصل هذا التغير دون أن يلاقي مقاومة عنيفة من الحريصين على صفاء اللغة وصحتها، وأعني بهم النحاة، واللغويين، والمتكلمين، والفقهاء،

(١) السابق، ص ١٣
(٢) السابق، ص ١٣

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذين لم يقبلوا أن يدرسوا لغة أخرى غير اللغة الفصحى، إنهم قد أنكروا طبيعة الأشياء ولم يفهموا ولم يريدوا أن يفهموا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغير، وأن اللغات تتغير بمثل ما تتغير الأفكار، وإنها تخضع لسلطان المجتمع الذي يتكلمها، وأثر الكتاب الذين يصطنعونها، أقول إنهم أرادوا أن تبقى العربية كما هي فلا تتغير وأن تخلد لغة كتاب الله، ولم يكن لديهم غير الإزراء بالألفاظ الجديدة التي وضعها معاصروهم والاستهانة بها. ولكي يحولوا دون فساد اللغة، وتدنيس قدسيتها، فقد كانت اللغة عندهم شيئا مقدسا، فقد أكثروا من وضع القواعد وتأليف المعاجم، وكتابة الرسائل اللاذعة، جرحوا فيها الأغلاط الشائعة، وجعلوا من الأخطاء التي يرتكبها الخاصة بل العامة سخرية الساخر، وأضحوكة الناس، وأرشدوا إلى ما يقال وما لا يقال"[(١)].

وما الذي يضير دوزي من هذا الموقف الذي اتخذه علماء المسلمين للمحافظة على لغتهم، وأراه هنا تحديدا يحاول خلط الأمور حتى يلبس على القارئ أمره، فهو يسوق حججه التي تدافع عن رأيه مغلفة بأحكام يسوقها على أنها حقائق ثابتة، وهي:

- النحاة واللغويون والمتكلمون والفقهاء لم يقبلوا أن يدرسوا لغة أخرى غير الفصحى.
- أنهم أنكروا طبيعة الأشياء.
- لم يفهموا ولم يريدوا أن يفهموا أن كل شيء في هذا العالم عرضة للتغير
- أن اللغات تتغير بمثل ما تتغير الأفكار.

---

(١) السابق، ص ١٣-١٤

- أن اللغة تخضع لسلطان المجتمع الذي يتكلمها، وأثر الكتاب الذين يصطنعونها.
- أن علماء العربية أرادوا أن تبقى العربية كما هي فلا تتغير وأن تخلد لغة كتاب الله.
- أن علماء العربية لم يكن لديهم غير الإزراء بالألفاظ التي وضعها معاصروهم والاستهانة بها.
- كانت اللغة عندهم شيئا مقدسا، فقد أكثروا من وضع القواعد وتأليف المعاجم.

أقول: ماذا تبقى لعلماء العربية من مزية بعد هذا الكلام؟ وماذا تبقى للفصحى من مكانة بعد كلام دوزي؟

وعلى الرغم من حملة دوزي الشديدة على علماء العربية فإنه أقر بدورهم العظيم في الدفاع عن الفصحى فيقول: "ويجب أن نعترف أن جهودهم لم تذهب سدى، فإنهم وإن لم يستطيعوا أن يمنعوا تغير اللغة، فقد استطاعوا إلى حد ما أن يؤخروا ذلك ويحصروه في حدود ضيقة، فلم تنشأ عند العرب بفضلهم، وبفضل دراسة القرآن، التي كانت أساس الثقافة الإسلامية، لغات أخرى، كما نشأت اللغات الرومانية من اللغة اللاتينية، ولا تزال لغة الكتابة حتى أيامنا هذه قريبة من اللغة القديمة من حيث التزامها بقواعد اللغة على الأقل، على الرغم مما أصاب لغة الكلام من تغير كبير"[١].

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ١٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومع إقراره هذا لم ينس أن يبرز دور من ثاروا على ما دأب عليه علماء المسلمين على اختلاف عصورهم من المحافظة على الكتابة باللغة العربية الفصحى، فيظهر هنا إعجابه بأحد رحالات القرن العاشر الميلادي فيقول:" غير أنهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يوقفوا السير الطبيعي للأشياء. فإن كثيرا من الكتاب كانوا يصطنعون دون تردد لغة العامة ويعلنون ذلك للناس. فالمقدسي، وهو رحالة من أهل القرن العاشر الميلادي، يقول إنه يكتب عادة بلغة أهل الشام لغة إقليمه، وإنه لكي يحافظ على اللون المحلي، يستخدم في وصفه لكل إقليم، وفي وصفه لوطنه، ما يمكن فهمه ولاسيما في اختيار الكلمات. وإن تعجب فعجب أن الملتزمين بنقاء اللغة وصفائها يصطنعون من غير أن يشعروا الألفاظ الجديدة المولدة، وهم غالبا ما يفسرون في معاجمهم الألفاظ الفصحى بألفاظ مولدة، وإن بعض مشهوري النحاة في الأندلس كانوا يعلمون اللغة الفصحى القديمة بعامية البلد، فما أصدق ما يقال من أن العملي لا يستجيب دائما للنظري.

ومع ذلك فقد كان الملتزمون بنقاء اللغة وصفائها يتمسكون باللغة الفصحى ما تيسر لهم ذلك، فقد قيدوا كلماتها دون غيرها وشرحوها في معاجمهم الكثيرة، وهي في غالبها معاجم كبيرة بمجلدات ضخمة"[(١)].

ثم ينتقل دوزي إلى جانب آخر وهو نقده لمعاجم من سبقوه من المستشرقين الذين تأثروا بمنهج علماء العربية في تأليف معاجمهم فيقول: "ومعاجمهم هذه –يقصد معاجم علماء العربية– هي أصول المعاجم التي ظهرت في أوربا، فهذه الأخيرة لم تصنف بعد بحث في الكتب المصنفة

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ١٤

وفحصها وجرد ما فيها من كلمات، بل إن مصنفيها حذوا في تصنيفها حذو مصنفي المعاجم المشارقة ونهجهم في التصنيف حذو النعل بالنعل، وهذا النهج هو الذي غلب على معجم جوليوس، وهو مصنف رائع بالقياس إلى العصر الذي صنف فيه، كما غلب هذا النهج على معجم فريتاج الذي حل محله، وهو وإن لم يستوف ما كان ينتظر من معجم صنف بعد مرور قرنين على معجم جوليوس، فقد أسدى أيادي كثيرة، بعد أن بلغ سعر معجم جوليوس ثمنا باهظا. وأخيراً غلب هذا النهج على معجم لين، وهو معجم يتمثل فيه الصبر والجلد على العمل، وسعة العلم، والتدقيق والنقد السديد، وقد بلغ من الإتقان أقصى ما يمكن تصوره لمعجم عربي يحذو في تصنيفه حذو معاجم المشارقة تماما، ولا يكاد يجاوزها إلا قليلا، بحيث يمكن أن يقال إنه لن يكون معجم أفضل منه صنف على هذا النهج"[١].

وبعد ذلك ينتقل دوزي إلى مراده ويكشف عن هدفه الأسمى من تأليف معجمه انتقالا ذكيا، فبعد أن قدم مبررات قوية من وجهة نظره لضرورة مراعاة التغير اللغوي ومدى الحاجة إلى مواكبة هذا التطور قال: " ولما كانت اللغة الفصحى أصل اللغات المحلية التي حلت محلها فقد كان لابد من هذه المعاجم للذين يدرسون مصنفات المؤلفين العرب في القرون الوسطى، وهي مصنفات تهمنا كثيرا مثل مصنفات المؤرخين، والجغرافيين، والقصاص، والنباتيين، والأطباء، والفلكيين وغيرهم، غير أن هذه المعاجم لم تكن تكفي الدارسين، فقد كان ينقصها كثير من الألفاظ والمعاني، فقد أقصى لين من معجمه كل الألفاظ والعبارات غير الفصيحة إلا فيما ندر، كما يعترف هو بذلك. وفريتاج يذكر منها أكثر مما ذكر لين، غير أنه لم يبحث

(١) السابق، ص ١٤-١٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

عنها بحثا منسقا في أي كتاب حتى في الكتب التي قام بنشرها، فهو لم يوفق إلى جمع هذا الصنف من الألفاظ والعبارات فبرهن على فقده روح البحث والنقد. فهو مثلا لم يقرأ كتاب ألف ليلة وليلة، كما يشهد على ذلك معجمه، ولكنه التقط من هنا وهناك كيف ما اتفق له مجموعات من الألفاظ العويصة التي أضافها (هابيشت) إلى الأجزاء المختلفة من طبعته لهذه القصص، وقد برهن فليشر بصورة تدل على الذكاء وبعد النظر كما تدل على سعة العلم، على أن هذه المجموعات تضطرب فيها الأغلاط وتكثر فيها الأوهام، غير أن فريتاج لم ينتبه إليها ولم يتشكك فيها، بل نستطيع أن نقول إنه كثيرا ما كان يحاول أن ينقل منها أغرب المزاعم وأكثرها سخفا وأبعدها عن الصواب، تاركا منها ما قد يكون أقرب إلى الصواب. ولابد إذاً من أن يصنف معجم يجمع الألفاظ والعبارات التي لم يستعملها العرب في لغتهم الفصحى قديماً"[(١)].

ثم يلفت الأنظار إلى اختلاف منهجه عن منهج من سبقوه، ويلمح إلى أفضلية معجمه، ودوره في إثراء العربية بالكلمات غير الفصيحة فيقول: "غير أن الأدب العربي واللغة العربية من السعة والثراء بحيث لابد أن تنقضي سنون كثيرة، بل ربما قرون قبل أن يشرع في تصنيف مثل هذا المعجم. يقول لين، وهو الخبير بلا منازع،: "إن معجما للعربية غير الفصحى لا يمكن أن ينهض بجمعه وتصنيفه إلا عدد كبير من العلماء المنتشرين في مختلف مدن أوربا التي فيها مكتبات تزخر بالمخطوطات العربية، ومثلهم من العلماء في مختلف أقطار آسيا وأفريقية، يستمدون بعض مادتهم من الكتب،

(١) السابق، ص ١٥

ويستفيدون بعضها من المعارف التي يستطيع العرب وحدهم معرفتها، ولابد لهم من جماعة كبيرة من المساعدين المتخصصين في العلوم الإسلامية"[١].

ربما أكون قد أسهبت فيما نقلته عن دوزي في مقدمة معجمه، ولكن ليس أبلغ في التدليل على المراد من كلام صاحب الشأن نفسه، قد يبدو كلام دوزي في عرضه لفكرته وتدليله على حاجة العربية إلى معجمه منطقيا وفق تسلسل الأفكار عنده، ولكنه في تصنيفه لمعجمه قام بإجراءات بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي أراها – من وجهة نظري- مخالفة تماما لرؤيته النظرية لبناء معجم حديث، وهي الرؤية التي قدمها في مقدمة معجمه عن الملابس العربية، فلم يكن حريصا على ذكر أصول الكلمات التي أتى بها، ولا دائم الحرص على ذكر مصدرها، وأدخل في معجمه كلمات فصيحة كثيرة لم تغفلها المعاجم القديمة، وتصرفه هذا ليس عفويا ..ولا أوافق من يلتمسون له العذر فيما فعل، الرجل –لا شك- صاحب منهج وفكر، وله رؤيته الخاصة التي تكشفت بجلاء على مدار معجمه، هو يكتب عن لغة واقعية محكية في مرحلة زمنية معينة ولم يكن يعنيه من قريب أو بعيد أصل أي كلمة ترد في معجمه، وإنما الذي يعنيه أن هذه الكلمة موجودة في واقع اللغة العربية، وفي كتب ومؤلفات من كتبوا بالعربية.

وهذا الأمر لا يعد عيبا في جملته وإنما العيب في طريقة التعامل مع مثل هذه الألفاظ، فلم يثبت يوما على مدار تاريخ العربية أنها رفضت لفظة ما من أي لغة رأت أنها تحتاج إليها، ولكن ينبغي أن يتم هذا الأمر في إطار القواعد التي أقرها ووضعها علماء العربية لدخول أي كلمة من لغة أخرى

(١) السابق، ص ١٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

إليها، فالعرب لهم طريقة في التعامل مع الألفاظ الأعجمية، وقد بين ذلك العلماء الذين تكلموا على المعرب، ويأتي على رأس أولئك أبو منصور الجواليقي حيث عقد في كتابه باباً تحت عنوان: "باب معرفة مذاهب العرب في استعمال الأعجمي"(١).

وتحت هذا العنوان بين هذه المذاهب بقوله: "اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها. فيبدلون الحروف التي ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً. وربما أبدلوا ما بعد مخرجه - أيضاً - . والإبدال لازم؛ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس من حروفهم. وربما غيروا البناء من الكلام الفارسي إلى أبنية العرب. وهذا التغيير يكون بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن. وربما تركوا الحرف على حاله لم يغيروه. فمما غيروه من الحرف ما كان بين الجيم والكاف، وربما جعلوه جيماً وربما جعلوه كافاً، وربما جعلوه قافاً؛ لقرب القاف من الكاف، قالوا: (كُرْبَجٌ) وبعضهم يقول: (قربق).

قال أبو عمرو: سمعت الأصمعي يقول: هو موضع يقال له: (كُرْبَكٌ) قال: يريدون (كربج). وكذلك يقولون: (كيلَجَة) و (كِيلَقَة) و (وقِيلقة) و (جُرْبُز) للكُرْبُز و(جورب) وأصله: (كورب) و (مُوزج) وأصله (مُوزة). وأبدلوا الحرف الذي بين الباء والفاء فاءً. وربما أبدلوه باءً، قالوا: (فالوذٌ) و (فِرِنْد) وقد قال بعضهم (بِرند). وأبدلوا السين من الشين، فقالوا للصحراء: (دَسْت) وهي بالفارسية: (دشت). وقالوا: (سراويل) و (إسماعيل)

(١) انظر: الجواليقي؛ أبو منصور: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص ٩٤

وأصلها (شروال) و (إشماعيل) وذلك لقرب السين من الشين في الهمس. وأبدلوا اللام من الزاي في (قَفْشَليل) وهي المَغْرَفَة، وأصلها (كَفْجَلاز) وجعلوا الكاف منها قافاً، والجيم شيناً، والفتحة كسرة، والألف ياء. ومما أبدلوا حركته (زور) و (آشوب). ومما ألحقوه بأبنيتهم: (درهم) ألحقوه بـ (هجْرَعٍ) و (بَهْرَج) ألحقوه بـ(سَلْهَب) و (دينار) ألحقوه بـ (ديماس) و (إسحاق) بـ (إبهام)، و (يعقوب) بـ(يربوع)، و (جورب) بـ (كوكب)، و (شُبارِق) بـ (عُذَافر)، و (رُزْداق) بـ(قُرْطاس). ومما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا (إبْرَيْسَم) و (إسرافيل) و (فيروزو) و(قهرمان) وأصله (قِرْمان). ومما تركوه على حاله فلم يغيروه (خُراسان) و (خُرَّم) و (كُرْكم). قال أبو عمر الجَرْمي: وربما خلطت العرب في الأعجمي إذا نقلته إلى لغتها.

كذلك بحث المُحْدَثون في التعريب[1]، فمنهم من منعه؛ بحجة المحافظة على العربية. وفريق آخر أجازوا ذلك، وقالوا: إنه لا بد من مواجهة الحديث، وبهذا تكون المحافظة الحقة على العربية؛ إذ ترك التعريب فيه حجر على اللغة، ومن ثم يصدق عليها قول من يَصِمُها بأنها ميتة.

وقالوا – أيضاً– : إن التعريب من أساليب تنمية اللغة، ودلالة سعتها، واستيعابها.

وبعد دراسات طويلة توصل مجمع اللغة العربية في مصر إلى جواز التعريب، وأجمعوا على أن العربيَّ أولى وأفضل من المعرب، ووضعوا للتعريب شروطاً منها:

١– أن يكون اللفظ المعرب مما نحتاج إليه تمام الاحتياج.

(١) انظر: د.إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة ص١٢٤-١٣١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢- أن يكون على مقاييس العرب، فلا بد من إخضاعه للعربية من الناحية الصوتية والصرفية.

وهذه الضوابط التي وضعها علماء العربية للتعريب قديما أو حديثا هدفها الأساسي المحافظة على كيان اللغة العربية وخصوصيتها، ولو ترك هذا الأمر على عواهنه لتحولت العربية إلى لغة أخرى في أقرب فترة زمنية، وما وجدنا في لغتنا إلا القليل من ألفاظها الأولى، وهذا هو مراد دوزي ومن معه، فما يغلفون به كلامهم حق يراد به باطل.

والعجيب أن يجد دوزي من يدافع عنه ويعظم من عمله فقد أغراهم معجمه الذي وصلت أجزاؤه إلى أحد عشر جزءا، وأسماه "تكملة المعاجم العربية"، ولو فعلنا في زمننا هذا مثل ما فعله دوزي في معجمه لجئنا بكل ألفاظ لغات الأرض جميعها ووضعناها في معجم جديد لنكمل به المعاجم العربية القديمة.

وإذا نظرنا إلى الطريقة التي تعامل بها دوزي في معجمه مع الكلمات العامية التي ذكرها لتبين لنا عدم اكتراثه مطلقا بالضوابط التي وضعها علماء العربية للتعريب قديما وحديثا، ومن ذلك على سبيل المثال:

- "البحروش يصب: البَرد يتساقط (مارتن ١٧١)"[(١)].
- "جُزدان: (فارسية مركبة من الكلمة العربية جزء والفارسية دان): محفظة الأوراق (همبرت ١١٢، بوشر) وفي محيط المحيط جِزدان"[(٢)].

(١) دوزي: تكملة المعاجم، ج١/ ٢٤٦.
(٢) دوزي: السابق، ج٢/ ص ٢٠٢.

- "انجعز: عامية انزعج"(١).
- "انجعص: اضطجع، رقد على جانبه (ألف ليلة، برسل ٩: ٣٨٦)" (٢).
- "جفص: يقال رجل جفص ضد رجل لين ولين العريكة"(٣).
- "جقَّل (بالتشديد) ذكرت في معجم فوك في مادة cicada. وجَقَّل ابن آوى: تثاقل في مشيه لأنه بشم من كثرة الأكل"(٤).

ولاشك أن معجم دوزي مليء بمثل هذه الألفاظ التي تحتاج إلى دراسة مستقلة.

وهذا يذهب بنا إلى الإجابة على السؤال الثالث الذي طرحناه وهو هل ما فعله دوزي في معجمه عن قصد أم عن غير قصد؟

الإجابة على هذا السؤال تقتضي أن ننظر في شخصية الرجل وما كتبه لنعرف موقفه من الحضارة الإسلامية، وقد اختلف من قبل في حقيقة موقفه من العرب والعربية، فقد اعتبره البعض من المعتدلين والوسطيين(٥).

بينما يرى آخرون أنه ممن وقف من الإسلام وأهله موقفًا عدائيًا بلا تحّفظ، وأنه كان أشدهم جميعًا حقدًا على الإسلام وحملة على المسلمين، ومن

---

(١) السابق، ج٢/ ص ٢٢٤.
(٢) دوزي: السابق، ج٢/ ص ٢٢٤.
(٣) دوزي: السابق، ج٢/ ص ٢٣٠.
(٤) دوزي: السابق، ج٢/ ص ٢٣٥.
(٥) انظر:
- د .قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ١٠٤
- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج٢/ ص ٦٥٨-٦٦٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أنصار هذا الرأي الدكتور مصطفى الشكعة إذ يقول: "وأما الفريق الثاني فيقف من الإسلام موقفا عدائيا دون تحفظ ولا يرى أنه يمثل حقبة ذات اعتبار في تاريخ الأمة الإسبانية، وإنما يراه استعمارا لشعب واغتصابا لأرض، ويتوسل هذا الفريق بمختلف الأسباب ويفتعل المبررات ويختلق عديدا من الأحداث مهما خالفت ثوابت التاريخ وبديهياته لإثبات ما ذهب إليه وهو للأسف الشديد كثير العدد عالي الصوت شديد الجلبة وأشهرهم من غير الأسبان وأشدهم عداوة للإسلام المستشرق الهولندي رينهارت دوزي"(١).

ويقول الشكعة في موضع آخر كاشفا عن أسباب عداوة كثير من المستشرقين للإسلام: "إن جمهرة المستشرقين – باستثناء القلة القليلة التي ذكرنا – تقف من الإسلام عقيدة وحضارة موقف العدو المتربص والخصم المتلصص يبحث عن نقاط الضعف، فإذا لم يجدها اختلقها، ويتصيد مواطن الزلل فإن لم يعثر بها لجأ إلى الخبر فسعى في تزييفه، وإلى الأثر فعمد إلى تشويهه، فإذا ما سألنا أنفسنا عن الأسباب التي دفعت هذه الفئة من الباحثين إلى امتطاء هذا المركب الصعب كانت الإجابة سهلة يسيرة ذلك أن الاستشراق صدر عن أبوين معاديين للإسلام هما الصليبية التبشيرية والاستعمار، والإسلام بداهة خطر على كليهما، ولا يسير في خدمة أي من هذين العنصرين إلا كل متهاون في مروءته منحرف في فطرته، بعيد عن سمت العلماء وإن تسربل بلباسهم، عطل من مؤهلات الباحثين وإن تشبث بأذيالهم، وليس ذلك من قبيل التشهير بهذا الفريق من مدعي العلم، ولكن

(١) مصطفى الشكعة: مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس، بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية ، منشورات المنظمة العربية ومكتب، التربية العربي بالرياض، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م، ج٢/ ص ٢٧٩

لأنهم قوم يغتالون الحقائق ويقتلون الفضائل، وإن اغتيال الحقائق وقتل الفضائل لا يقل جرما عن اغتيال البشر وقتل الخلائق"[١].

وقد يقول قائل إن جهود دوزي في خدمة التراث ضخمة ولا تنكر، فيرد عليهم الدكتور الشكعة بقوله: "وإن دوزي صاحب جهد كبير في الدراسات الأندلسية الإسلامية وجهوده طيبة في نشر ما تعهده من كتب التراث، ولكنه أفسد كل جهده بما كانت تحفل به مقدماته من أخطاء، بالأحكام الفاسدة التي أصدرها ضد الحضارة الإسلامية والاستنتاجات الخاطئة التي توصل إليها" [٢].

وقد أفاض الدكتور على توفيق الحمد في تتبع ما ورد عن دوزي في مؤلفاته وكشف حقيقة دواخله نحو الإسلام ولغته وحضارته [٣]:

فقد قال في مقدمته لكتابه المشهور" تاريخ مسلمي إسبانيا" :"ونظرًا لأنه لم يكن في غرضي أن تكون الكتابة علمية جامدة وجافّة مخصّصة لطبقة معينة من القرّاء أو أخرى؛ فقد حرصت على ألا أذكر كل الحقائق التي وصلت إلى علمي ...وأن ألزم الصمت في أمور لا تندرج تحت الإطار العام لعملي، بالرغم مما قد يكون لها من الأهمية من وجهة نظر معينة".

ونتساءل ونحن أمام هذا النص، ما غرض دوزي إذن إن لم يكن غرضه الكتابة العلمية، ولِمَ يطلق على الكتابة العلمية الموضوعية صفات الجفاف والجمود؟!

---

(١) السابق، ج٢/ ص ٢٧٨ – ٢٧٩.

(٢) السابق ج٢/ ص ٢٨١

(٣) انظر: علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، ص ١٤-١٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يبدو أنه أراد الكتابة موجهة لأغراضه ولما في نفسه، فركز على نواح جزئية وأحداث تخدم غرضه، وضخمها، وركز على العصبية وحب العربي للثأر من أول الكتاب إلى آخره، وأن الإسلام دين التوسع والسيف والرعب، وأن العرب المسلمين مارسوا الاضطهاد ضد اليهود في المدينة، وأن المسلمين كانوا ينخرطون في جيوش الفتح خوفًا أو طمعًا في الغنيمة فقط، وطعن في عدالة الإسلام ومساواته، وطعن في أشخاص بعض الصحابة والقادة، كأبي موسى الأشعري، وعبدالله بن الزبير، والحسن بن علي- رضي الله عنهم-، وعبد الرحمن الداخل وغيرهم، وصوّر العرب بأنهم جفاة أجلاف، لا عهد لهم ولا دين ولا مروءة.

إذن يبدو أن غرض دوزي لم يكن ذكر الحقائق -التي ترفع من شأن الإسلام- كما ذكر هو، وإن وصلت إلى علمه، ويبدو أنه مصمم على أن يلتزم إطارًا معينا في عمله.

وقد سار على منهج استشراقي خبيث، هو تضخيم الجزئيات وذلك يُعدّ عيبًا وأزمة في منهجهم من وجهة نظر علمية موضوعية.

وطعن على العرب أنهم أقل أهل الأرض خيالا، ينقص أدبهم الاختراع والتخيل... ، فعُدِم في أدبهم الجانب الفني في القصيدة، ومن ثم كان الإبداع نادر الوجود في أدبهم.

وذكر أنهم" أعوزتهم القوة الابتداعية، فأخذوا أنفسهم بترجمة كتب القدامى وشرحها، وزادوا في بعض النواحي بملاحظاتهم الدقيقة الصائبة، لكنهم لم يبتدعوا شيئًا ما، ولم يدينوا العالم بفكرة عظيمة مثمرة، ... وأنهم لا يحملون في أنفسهم جرثومة التطور والتقدم.

وفي مقدمة دوزي في معجمه موضع لا ينبغي لباحث أن يمر عليه مرورا عابرا دون أن يتأمله لأنه ربما يكشف عن حقيقة دوافعه في أعماله البحثية، إذ يقول في أثناء كلامه عن المعاجم التي اقتبس منها: "ومعجم آخر عربي – لاتيني ولاتيني – عربي، هو الذي أشرت إليه بالرمز voc فوك، وهو معجم أكمل مادة، وأصح صحة، وقد عني شيابارياي به عناية كبيرة فنشره في فلورنسا سنة ١٨٧٤ معتمدا على مخطوطة مكتبة ريكارديانا. لقد صنف هذا المعجم في شرقي الأندلس (أسبانيا) في قطلونيا أو في مملكة أشبيلية. وربما كان مصنفه الأخ المبشر رايمون مارتان، وهو من علماء اللاهوت المشهورين والفلاسفة والمستشرقين في قطلونيا، وقد بذل جهده في العمل على ردة المسلمين إلى النصرانية"[١].

فوصفه لرايمون مارتان بالأخ المبشر، تنم عن إعجاب وتقدير له ولجهوده، وبخاصة ما ذكره من قوله: وقد بذل جهده في العمل على ردة المسلمين إلى النصرانية.

ولقد توقفت كثيرا عند قراءتي لمقدمة مترجم معجم دوزي عندما قال في ترجمته للمؤلف: "وقد بدأ يتعلم مبادئ العربية في منزله ثم واصل دراستها في جامعة ليدن "[٢]، وتساءلت: ما الدافع لرجل غربي أن يبدأ بتعلم العربية مبكرا، وخصوصا في بيته؟، ألا يُعتبر هذا الأمر إعدادا لمستشرق يخدم قضايا وطنه وحضارته قبل أن يخدم تراث العربية وتاريخها ولغتها.

(١) دوزي: تكملة المعاجم العربية، المقدمة، ص ٢٠.
(٢) السابق، ص ٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مما سبق تتبين حقيقة دوزي ومدى كراهيته للإسلام ولغته وحضارته، وفي المقابل وفاؤه لمذهب المستشرقين منذ قرار مجمع فيّنا الكنسي عام١٣١٢ م، الذي دعا إلى تعلم العربية؛ بوصفها أفضل الوسائل لارتداد العرب إلى المسيحية، وإنشاء كراسي الأستاذية في اللغة العربية في جامعات أوكسفورد وباريس وبولونيا وغيرها...

فدوزي وأمثاله كانوا يؤلفون ويضعون المعاجم لأغراض خاصة، وإلا فكيف تُعنى معجماتهم بالغث من المفردات اللغوية والعاميّ والهجين، وتُعرض عن الفصيح البليغ السمين، الذي يُشعر بقدرة هذه اللغة وجمالها وإبداعها .ولم ينصّوا على العاميّ والدخيل مما يُسهّل إفساد اللغة واختلاطها.

ما ذكرناه الآن عن حقيقة دوافع دوزي فيما ألفه يبدو أنها كانت واضحة أكثر مما يجب أن تظهر به، مما جعل المستشرق الهولندي المعاصر "كيس فرستيخ" يقول عنه: "ومن الواضح أن دوزي لم يقدر أعمال النحاة واللغويين حق التقدير، وبالفعل نجده لا يستشهد بمؤلفاتهم كثيرا...فلقد كان دوزي ممثلا نموذجيا للسانيات في عصره باعتنائه باللغة الحية أي اللغة الشعبية دون اللغة الفصحى المكتوبة الكلاسيكية... ومن ثم لم يقبل تفوق اللغة الفصحى، بل أكد على انقراضها بعد قرنين فقط من الحياة ...، أي بعد مجيء الإسلام والفتوح العربية في القرن الأول للهجرة. فتغيرت اللغة بمرور الأعوام تغيرا أساسيا أدى إلى زوالها كلغة حية في عصره"(١). ثم يقول في موضع آخر: "ولنرجع الآن إلى موقف دوزي إزاء تلك اللغة

(١) كيس فرستيخ: النحويون واللغويون وموقف دوزي من التراث اللغوي، بحث ضمن مجموعة "في المعجمية العربية المعاصرة"، ص ٤٠٢. وانظر: دوزي: في مقدمة المعجم، ص ١٣.

الكلاسيكية، فلقد رأينا أنه لم يعترف إلا باللغة الشعبية باعتبارها لغة حية، وقد وجدها في نصوص العصور ما بعد الكلاسيكية، وأعتقد أن ذلك الحكم غير مقبول من جهتين ...ولكن ينبغي من ناحية أخرى ألا نغفل فعالية موقف الناطقين بالعربية في كل المجتمع العربي الإسلامي ...التي تحملهم على عدم قبول حكم الموت الذي أصدره دوزي"[١].

(١) انظر: كيس فرستيخ: السابق، ص ٤١٠-٤١١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة البحث

لقد تبين من خلال هذا البحث أثر معاجم المستشرقين في الدعوة إلى العامية، ومدى احتفاء المستشرقين عامة، والمستشرق دوزي خاصة، باللهجات المحكية والعاميات على حساب اللغة العربية الفصحى التي يعدونها من وجهة نظرهم أنها كانت لغة عصر معين وانقضى، ومن ثم فقد اهتموا بدراسة العاميات، وأتاحوا لها الطريق لكي تتسلل في صفحات الكتب المؤلفة عن العربية دون تهذيب أو تعديل بما يتناسب مع منهج العربية في قبول المعرب والدخيل.

وليس المقصد من هذا البحث الرفض المطلق لكل ما جاء به المستشرقون، وعدم الاستفادة مما قدموه، ولكن القصد هو توخي الحذر فيما يصدر عنهم، والانتباه إلى ما يبثونه في ثنايا كتبهم من سموم.

وإذا كان البعض قد رأى في عمل دوزي شيئا جديدا ينبغي أن نهتم به وهو مراعاة تجدد اللغة وتطورها، وهذه حقيقة لغوية أقرتها الدراسات اللغوية الحديثة، فينبغي على الدارسين العرب والمؤسسات اللغوية الرسمية من مجامع لغوية وهيئات علمية، وجامعات ومعاهد أن توجه أنظار الباحثين فيها إلى ضرورة إنشاء معجم عربي معاصر يحتوي على ما دخل العربية من كلمات جديدة وفق المعايير والضوابط التي وضعتها العربية لدخول هذه الكلمات فيها.

كما ينبغي أن تتوجه أنظار الباحثين إلى تحليل دقيق لمعجم دوزي وما ورد فيه من كلمات والبحث في أصولها، وأن نتجاوز مرحلة ترجمة ما يصدر عن المستشرقين إلى مرحلة جديدة وهي تحليل ما يقدمونه في مجال العربية وتحقيقه.

المصادر والمراجع

١) د. إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.

٢) إبراهيم بن مراد:

- دراسات في المعجم العربي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م
- منزلة مستدرك دوزي من المعجمية العربية. بحث منشور في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، طبعة دار الغرب الإسلامي ببيروت، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣) أحمد عبد زيدان: تكملة المعجمات العربية نقد إبراهيم اليازجي، بحث منشور بمجلة المورد، العراق، المجلد ١١، العدد الرابع.

٤) أنور الجندي: الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥) الجواليقي؛ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد: المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٦) د. حكمة علي الأوسي: ملاحظات على معجم دوزي وانكلمن، بحث منشور في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٧) خالد بن سعود بن فارس العصيمي: الاستدراك في كتاب "تكملة المعاجم العربية" لدوزي، بحث منشور في مجلة عالم الكتب، المملكة العربية السعودية، مجلد ٢٥، العدد ٥، ٦ الربيعان – الجماديان ١٤٢٥هـ/ مايو – يونيو– يوليو – أغسطس ٢٠٠٤م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٨) دوزي؛ رينهارت:
- تكملة المعاجم العربية، ترجمة د. محمد سليم النعيمي، الدار العربية للموسوعات، لبنان، الطبعة الأولى ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ..
- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة د.أكرم فاضل، مجلة اللسان العربي، يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، جامعة الدول العربية، الرباط، المغرب.

٩) صالح علي صالح المحويتي: تكملة المعاجم العربية للمستشرق رينهارت دوزي. دراسة نقدية لمنهج الجزء الأول ومصادره. (رسالة ماجستير) بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٩٩١م.

١٠) ظافر القاسمي: لغة العرب. تمازجها مع اللغات الأخرى. نموذج من تحقيق العلامة دوزي في معجمه. بحث منشور بمجلة آفاق، اتحاد كتاب المغرب – المغرب، العدد الثاني، ١٩٦٤م.

١١) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ):
تراثنا بين ماض وحاضر، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية، ١٩٦٨م.
لغتنا والحياة، دار المعارف، الطبعة الثانية، دون تاريخ.

١٢) عبد العزيز بن حميد بن محمد الحميد: أعمال المستشرقين العربية في المعجم العربي، نشرته عمادة البحث العلمي، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٣ هـ /٢٠١٢ م.

١٣) علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق دوزي في المعجمة العربية، بحث منشور في مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد ١٥، ٢٠٠١م.

١٤) فيليب دي طرازي: خزائن الكتب العربية في الخافقين، ، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت، لبنان.

١٥) د . قاسم السامرائي: الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرفاعي، الرياض، السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٦) كيس فرستيخ: النحويون واللغويون وموقف دوزي من التراث اللغوي ، بحث منشور في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ١٩٨٧م/١٤٠٧هـ.

١٧) د. محمد رشاد الحمزاوي: الاستيعاب في المعجم العربي الأوربي من حيث مناسبات التعويض ومناسبات السياق وأثره في المعرفة والتربية والترجمة، بحث منشور في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م/ ١٤٠٧ هـ.

١٨) محمد القاضي: بحث "البستاني مصدرًا لدوزي" في كتاب "في المعجمية العربية المعاصرة" الصادر عن وقائع ندوة مئوية أحمد فارس الشدياق، وبطرس البستاني، ورينهارت دوزي، التي أقامتها جمعية المعجمية العربية بتونس، دار الغرب الإسلامي ببيروت ١٩٨٧م/ ١٤٠٧هـ.

١٩) د. محمد محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب بالجماميز، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م

٢٠) الشيخ محمود شاكر: في الطريق إلى ثقافتنا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م.

٢١) مصطفى الشكعة: مواقف المستشرقين من الحضارة الإسلامية في الأندلس، بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، منشورات المنظمة العربية ومكتب - التربية العربي بالرياض، ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م.

٢٢) نجيب العقيقي: المستشرقون (مجلدان)، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٦٤م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١.	ملخص	٣٢٥٥
٢.	Abstract	٣٢٥٧
٣.	مقدمة	٣٢٥٨
٤.	التمهيد:	٣٢٦٥
٥.	أولا: معاجم المستشرقين حول اللغة	٣٢٦٥
٦.	ثانيا: معجم دوزي	٣٢٦٧
٧.	ثالثا: المستشرقون والدعوة إلى العامية	٣٢٧٢
٨.	المبحث الأول : مصادر دوزي في معجمه في ضوء قواعد المعجمية العربية وضوابطها	٣٢٧٨
٩.	أولا: مصادره في جمع المادة	٣٢٧٨
١٠.	ثانيا: منهجه في المعجم:	٣٢٨٤
١١.	ثالثا: طريقة ترتيبه لمواد معجمه	٣٢٨٥
١٢.	المبحث الثاني : علاقة معجم دوزي بالدعوة إلى العامية	٣٢٨٧
١٣.	خاتمة البحث	٣٣٠٦
١٤.	المصادر والمراجع	٣٣٠٧
١٥.	فهرس الموضوعات	٣٣١٠